الحلي في العصر الأموي

بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين الأربعة في سنة ٤١ هجرية (٦٦١م) انتهى عصر الزهد والتقشف على الصعيد الرسمي للدولة على الأقل، حيث اخذت الأموال تطلق على تشييد المباني العامة كالمساجد الجامعة ودور الإمارة، كذلك على قصور الخلفاء في دمشق العاصمة الرسمية للأمويين وفي غيرها من أمهات المدن العربية، اضافة الى القصور التي شيدها الخلفاء والأمراء في بادية الشام للصيد والراحة والاستجمام. ومما لا شك فيه أن بعض أغنياء العرب قد اتبعوا نفس هذا الأسلوب في حياتهم العامة والخاصة فأخذوا في تشييد القصور الفخمة المريحة، فيها كل ما يحتاجه المرء من مستلزمات العيش الرغيد.
وعلينا أن لا ننسى أيضاً أن حدود الدولة العربية أيام بني أمية قد بلغت أقصى ما وصلت اليه من اتساع وامتداد حيث امتدت من جبال البرنيز وسواحل بحر الظلمات غرباً إلى حدود الصين شرقاً. ومن تخوم مدينة القسطنطينية وسواحل البحر الأسود شمالاً إلى حدود الهند جنوباً. فكانت الأموال تنصب على العاصمة دمشق ومراكز الأقاليم، فأخذ الخلفاء وولاتهم في الأمصار ينفقون تلك الأموال في مناحي الحياة المختلفة.
ولا شك والحالة هذه أن تنفق المرأة، خاصة المترفة منها، على نزينها وحليها الشيء الكثير اذ من الأمور المسلم بها أن اهتمام المرأة بجمالها ومظهرها العام كان ولا يزال أمراً لا يمكن لها أن تغفله، اللهم الا اذا كانت فقيرة معدمة أو مؤمنة إلى حد التقشف الشديد.
في باب التريق تفيدنا المصادر العربية القديمة ان المرأة قد عرفت اضافة إلى القديم من تصفيفات الشعر تصفيفات منوعة جديدة، منها تصفيفة عرفت بـ (الكعكية) (١) ، ذكر في وصفها ان تجعل المرأة شعرها في اربع غدائر مضفورة وتداخل بعضهن في بعض (١) وقد أوضحت باحثة. حديثة بأنه للحصول على تلك التصفيفة لا بد وان تجعل المرأة شعر رأسها في قسمين، ثم تقسم شعر كل جهة منها في شطرين آخرين، تضفرهما، ثم تداخل بعد ذلك ضفيرتي كل جانب ببعضها مستعينة بحبل أو بأشرطة من قماش الا اذا شدت بعضها ببعض أو استعانت في تثبيتها بدبابيس من معدن .
ومالت المرأة ايضا إلى الذوائب الطويلة والطرر. فقد وصفت جارية للخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩ ه ٧١٠ ـ ٧١٧م) بانه كان لها نوابة تضرب حقومها، وتسيل كالمشاكيل على منكبيها، وطرة قد اسبلت على جبينها، ولها صدغان كأنها تونان على وجنتيها وحاجبان قد تقوسا على محجري عينيها، وعينان معلوم تان سحراه (١)
وربما المقصود بالمشاكيل هنا خصل شعر غير متساوية في الطول ومبرومة في شكل قرون متهدلة الى الاسفل اما الصدغ فمقوس يشبه حرف النون في شكله. وغالبا ما نلاحظ مثل هذه الأصداع في مخلفات العصر العباسي من الرسوم النسائية والذي كثيرا ما يتردد ذكرها في الشعر العباسي .

وعلى الرغم من كراهية الاسلام للشعر المستعار نجد ان الاشارات تتكرر إلى استعماله عند بعض طبقات الناس في العصر الأموي خاصة طبقة المتنين والموسيقيين أو بعض الجواري كذلك استخدمت المرأة في العصر الأموي التيجان لتجميل الرأس والشعر فقد ذكر ان مغنية معروفة في العصر
الأموي اسمها جميلة كانت تضع على رؤوس جواربها تيجانا (١).
واذا تركنا النصوص التاريخية والأدبية وانتقلنا إلى دراسة المخلفات الاثرية التي ترجع الى العصر الأموي خاصة الرسوم والتماثيل يمكننا ان تلاحظ بشكل واضح بعض انواع التصفيفات التي مالت اليها المرأة عصرتك منها جعل شعر الرأس في لفائف قصيرة متجاورة، وهي تصفيفة تذكرنا بالتصفيفات التي كثيرا ما استعملت في مدينة الحضر العربية قبل الاسلام. ومنها ايضا تصفيفة تعتمد على رفع الشعر الى الاعلى ومن ثم الاستعانة بشيء من شرائط القماش لتثبيته) بالصورة المطلوبة. كما وصلتنا نماذج للشعر الطويل المدل على المنكبين أو القصير الذي لا يتجاوز في طوله منتصف الرقبة.
اما بالنسبة الى الحلي فيبدو ان المرأة في العصر الأموي اقبلت على اقتناء الانواع المختلفة منها سواء تلك التي كانت تزين الأذن أو الرقبة والصدر أو الأصابع والمعاصم والأرجل ويبدو ان الاتفاق على شراء الحلي قد ازداد الى درجة عظيمة في هذا العصر من ذلك ما يفيدنا به باحث قديم من أن معاوية بن أبي سفيان (٤١) ٦٠ هـ / ٦٦١ - ٦٨٠م) اهدى عائشة بنت أبي بكر (رض) قرطا من ذهب فيه جوهر قدرت قيمته بمئة الف درهم (١).
وليس من المستبعد ان يكون هذا الجوهر الذي اشار اليه المؤرخ العربي القديم من (ماس) (٣). فالماس كان ولا يزال من الاحجار الثمينة جدا، أو ربما كان من الزمرد الثمين أو من اللآلىء الكبار التي كانت تسمى مصرية بـ (الدرة). والدرة، كما وصفت لنا قديما انها لؤلؤة لا يقل وزنها عن نصف مثقال وهناك من الدر النادر جدا ما يبلغ وزن الواحدة منها ثلاثة مثاقيل فاذا بلغت ذلك سميت عندئذ بـ (الدرة اليتيمة) (١). هذا وقد وردت اشارات الى اقراط عند العرب مزينة بالدر الكبار منها قرطان كانا
الريا بنت ظالم فأصبحت مضربا للامثال عند العرب. وكان ذكر انه وكان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهماه).
ولقد وردت نماذج مختلفة لهذا الضرب من الاقراط في رسوم العصر. الأموي الجدارية ، كذلك ما يزين اذني عدد من التماثيل الجصية المكتشفة في خرائب قصر اموي قديم في خربة المفجر قرب مدينة عمان، وهو القصر الذي ينسب للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ / ٧٢٤ -(٧٤٣م) فيلاحظ ان بعض اقراط تلك التماثيل النسوية يتدلى منها ما يشبه اللالي الكبار أو الاحجار الكريمة الأخرى منها كروية وبعضها بيضوية أو مخروطية
ان من المسلم به ان تستعين المرأة في زينتها في العصر الأموي بمختلف انواع القلائد منها القلائد الضيقة التي تلتصق بالرقبة النصافا المعروفة بالمخانق. ومن الاشارات التاريخية الى المخلفة في العصر الأموي ما يرويه ابو الفرج الأصفهاني من ان بثينة صاحبة جميل

كانت تتخذ لها تحتقة من بلح تتوسطها تفاحة (٣). ومن الأمور البديهية ان كثيرا من تخانق العصر الأموي كانت تتضد باللآلي والاحجار الكريمة الأخرى لما عرف ذلك العصر من رفاء وترف. وبما يؤيد ذلك المخاتق التي تبدو في رسوم عدد من النساء ضمن الرسوم الجدارية في قصير عمره (٣)، والتي منها متخانق في شكل سمط واحد من الأحجار الكريمة أو الخرز، أو في شكل خيط أو سلسلة نشد على الرقبة تتوسطها حلية ربما من ذهب أو قصة أشبه في شكلها بالورقة النباتية الصغيرة.

واستخدمت المرأة العربية في حليها أيضا الاطواق والاطواق كما سبق وذكرنا حلية مستديرة ذات مفصل واحد أو أكثر تحيط بالرقبة.

وفي المدونات العربية القديمة اشارات الى ان بعض الأطواق النسائية

في العصر الأموي كانت تتخذ من الذهب المحل بالجوهر من ذلك ما يذكره الابشيدي من أن معاوية بن أبي سفيان بعث الى عائشة بنت أبي بكر (رض) طوقا من ذهب فيه جوهرة بمائة الف دينار فقسمت بين ازواج النبي

ومع ذلك فليس من بين التماثيل الجصية والرسوم الجدارية النسائية التي ترجع الى العصر الأموي الا القليل التي تحلي اعناقها الأطواق وهي على العموم من النوع البسيط اذ ليس فيها ما يدل على استخدام الاحجار الكريمة وما شابه.

اما العقود في العصر الأموي فهي كما كانت عليه في العصور السابقة على انواع مختلفة، منها النوع البسيط وقوامه سلسلة تتدلى من وسطها حلية واحدة. كما يمكن ان نلاحظ ذلك حول رقبة بعض التماثيل الجصية النسائية المكتشفة في قصر هشام.

ومن العقود الكثيرة الاستعمال في العصر الأموي العقود الطويلة التي كانت تعرف بالمراسل ويذكر صاحب الاغاني ان بعضها كان يتخذ من خرزات الذهب مع كرات صغيرة قوامها الكافور والعنبر اضافة إلى بذور القرنفل ويذكر ايضا ان عدد حبات بعض تلك المراسل لم يكن يقل عن مئة حبة. ومما يجدر ملاحظته ان في الرسوم الجدارية القصير عمره سيدات يترين بهذا الضرب من القلائد.

ومن الجدير بالملاحظة ايضا ان سيدات العصر الأموي كن في كثير من الاحيان يتحلين بأكثر من قلادة واحدة قد تصل في بعض الاحيان الى ثلاثة، كما تؤكده بعض رسومات قصير عمره الجدارية والواقع أن استعانة المرأة العربية بأكثر من قلادة واحدة لم يكن شيئاً جديداً، حيث أنها كانت ميالة إلى ذلك منذ العصور السابقة للإسلام، كما سبق وذكرنا في الفصل السابق.

ولا شك ان الخواتيم كانت تشكل جزءاً اساسياً من حلي المرأة في

العصر الأموي. وتذكر المصادر العربية القديمة أن بعض نساء العرب في ذلك العصر كن يضعن خواتيم بأصابع اليديين العشر). غير أنه مع الاسف لا نجد ضمن المخلفات الأثرية من الخواتيم ما يمكننا ان ننسبه بشيء من الاطمئنان الى العصر الأموي. كما انه ليس في الرسوم الجدارية او التماثيل الجصية التي ترجع الى ذلك العصر نساء يضمن في اصابعهن خوانيم ليتسنى لنا دراستها.